الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة الثقافة

تحت الرعاية السامية لمعالي وزير الثقافة والسيد والي ولاية المسيلة

دار الثقافة الشهيد قنفود الحملاوي لولاية المسيلة

شهادة مشاركة

يشهد السيد مدير دار الثقافة لولاية المسيلة والسيد رئيس قسم التاريخ بجامعة المسيلة

أن الدكتور : بتة مرزوق ـ جامعة المسيلة قد شارك في فعاليات الملتقى الوطني السابع

تاريخ وأعلام المسيلة تحت شعار « الزوايا هوية وإشعاع ثقافي » يومي 04 و 05 ديسمبر 2018 .

بمداخلة تحت عنوان: زاوية الهامل ببوسعادة دورها الثقافي و التعليمي

مدير دار الثقافة

مدير دار الثقافة
عدوي فؤاد

رئيس قسم التاريخ

د. مرزوق بتة

تاريخ وأعلام المسيلة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة الثقافة

دار الثقافة الشهيد قنفود الحملاوي لولاية المسيلة

تنظم

الملتقى الوطني السابع تاريخ وأعلام المسيلة

03/04/05 ديسمبر2018

استمارة المشاركة

الدكتور:

الاسم: مرزوق.

اللقب: بتة.

البريد الإلكتروني: MEROUG.BETTA@GMAIL.COM

رقم الهاتف: 0671315827.

الوظيفة: أستاذ. **الجامعة:** جامعة محمد بوضياف المسيلة.

محور المداخلة: المحور الأول زوايا وأعلام منطقة المسيلة.

عنوان المداخلة: زاوية الهامل ببوسعادة –دورها الثقافي والتعليمي.

ملخص المداخلة

لقد لعبت الزوايا دورا بارزا وهاما في مجابهة الاحتلال الفرنسي منذ أن وطأة قواته أرض الجزائر، بكل ما أوتي لها من قوة وقدرة على جميع الأصعدة والمجالات، فهي لم تدخر أدنى جهد في ذلك.

ومن بين هذه الجبهات التي لعبت الزوايا دورا كبيرا فيها هو الدور الثقافي والتعليمي لأبناء الشعب الجزائري، فهي وقفت سدا منيعا في وجه المستعمر الذي حاول بكل الطرق أن يطمس هوية ومقومات الشعب، حيث قام المستعمر بتحويل المساجد إلى كنائس وإسطبلات للحيوانات، بالإضافة إلى هدم الكثير منها. كما عمد إلى تجهيل هذا الشعب وتجويعه.

وأمام هذا الوضع ظهر الدور الفعال الذي قامت به الزوايا، حيث لعبت دورا فعالا في تنوير الشباب والأطفال، وذلك عن طريق تحفيظهم القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ومبادئ الكتابة والقراءة.

ومن بين هاته الزوايا نجد زاوية الهامل بالمسيلة، فالتساؤل الذي يطرح نفسه هو: **ما هو الدور الذي لعبته زاوية الهامل في مواجهة الاستعمار بمنطقة المسيلة؟**

–مقدمة:

لقد كانت الزوايا منتشرة في الأرياف والمدن بكثرة قبيل وبعد الاحتلال الفرنسي، حيث كان لها دور كبير في تنشيط وتفعيل الحركة الفكرية والعلمية بالجزائر، لأنها كانت تعتبر من أهم المراكز والمؤسسات التعليمية في ذلك الوقت، والسبب يرجع لكونها تمتلك العديد من المخطوطات والكتب المتنوعة التي لا تقدر بأي ثمن، كما ساهمت الأوقاف المحبسة لأجلها في جعلها من أغنى المؤسسات بالبلاد، لأنها تضمن لها موارد ومداخيل كبيرة جداً ساهمت في نشاطها.

تحظى الزوايا بمكانة خاصة واحترام، لأنها من المؤسسات القائمة على تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية، والعبادات المختلفة من فقه وتحفيظ قرآن كريم ومتون وتفاسير وروايات، بالإضافة إلى أن القائمين عليها كانوا يمتازون ويتصفون بالتقوى والصلاح والسمعة الطيبة، إضافة إلى كل هذه المهام فلقد لعبت الزوايا دوراً مهماً في مكافحة الاستعمار الفرنسي بكل ما أوتيت من قوة، وهو ما تجلى في العديد من المقاومات وذلك عن طريق مشاركة وانخراط العديد من الطلبة والمشايخ في صفوف جبهة التحرير الوطني، أو عن طريق القيام بالعديد من الثورات الشعبية في وجه المستعمر.

إنّ من بين هاته الزوايا نجد زاوية الهامل ببوسعادة– المسيلة– التي لعبت دوراً كبيراً في الجانب العلمي والثقافي، بالإضافة إلى الوقوف في وجه الاستعمار الفرنسي. **ومن هنا نتساءل عن الدور الذي لعبته زاوية الهامل في مواجهة الاستعمار الفرنسي بالمسيلة؟.**

قبل الدخول في الموضوع مباشرة والتطرق إلى الدور الذي لعبته زاوية الهامل في مواجهة المستعمر الفرنسي الغاشم، ارتأينا أن نتطرق إلى بعض المفاهيم والتعاريف التي تتعلق بمفهوم الزوايا.

1–تعريف الزاوية:

–**لغة:** من المصدر زوي، الزّي: مصدر زوى الشيء يَزْويهْ زَيّاً وزُويّاً فانزوى، نَحَّاه فتنحى[1]، وزاوية البيت: ركنه، والجمع الزَّوايا[2].

تعرفها دائرة المعارف الإسلامية: "هي مجموعة من الأبنية ذات طابع ديني: غرفة للصلاة، ضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف تعلوه قبة، غرفة قصرت وخصصت لتلاوة القرآن، مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، غرفة مخصصة لضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين، وغرف للطلبة، ويلحق بالزاوية عادة مقبرة تشمل قبور أولئك الذين أوصوا في حياتهم أن يدفنوا فيها"[3].

–**اصطلاحاً:** الزاوية تعني اليوم مراكز تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم أصول الدين الإسلامي والعلم الشرعي، ونشر الأخلاق والفضائل الإسلامية. وهي بذلك حصون العقيدة والإيمان، وأماكن تختزن في صناديقها ورفوفها ذخائر التراث الإسلامي بآدابه وملامحه التاريخية والوطنية[4].

إن بناء الزاوية يختلف عن بناء المسجد والمدرسة، لأنها في أغلب الأحيان جمعت بين هندسة المسجد والمنزل، وهي بشكل عام قصيرة الحيطان منخفضة القباب وقليلة العرصات والنوافذ، وشكل الزاوية يوحي بالعزلة والتقشف والهدوء أكثر ما يوحي بالاختلاط والثراء والحركة.[5]

---

[1]–ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج14، ص363.

[2]– نفسه، ص365.

[3]– مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، تر: زكي إبراهيم، دار الشعب القاهرة، د ت، مج10، ص332.

[4]– شهبي (عبد العزيز)، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2007، ص13.

[5]– سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ج1، ط01، ص ص269، 270.

2- دور زاوية الهامل في نشر العلم والمحافظة على اللغة العربية:

يظهر الدور الإيجابي للزوايا خاصة الريفية منها في التعليم على الخصوص. فقد كانت بالإضافة إلى وظيفتها الدينية معاهد لتعليم الشبان وتنوير العامة، وقد اشتهرت بعض الزوايا والخلوات الريفية حتى أصبحت محجة للزوار والطلبة، ومن ذلك زاوية الهامل ببوسعادة.

وظاهرة التعليم في الزوايا ليست خاصة بالريف، ففي المدن أيضا كانت بعض الزوايا تقوم بدور إيجابي في نشر التعليم بجميع مستوياته. فزاوية الهامل قد تحولت تدريجيا إلى مدرسة عليا أو معهد.

تعتبر الزوايا كما أسلفنا الذكر مراكز للعلم والثقافة العربية الإسلامية بالجزائر ومأوى للنشاط الديني ومدارس وملاجئ وبيوتا للعمل الخيري ولا نستثني من هذه الخدمات زاوية الهامل ببوسعادة التي لعبت دورا فعالا منذ تأسيسها. حيث لعبت دور كبير في الجانب العلمي الثقافي لأبناء المنطقة خلال الفترة الاستعمارية.

ما كادت سنة 1862م تحل حتى شرع الشيخ محمد بن أبي القاسم في بناء الزاوية، ولقد تم الإنتهاء من بنااها سنة 1863م، بجميع مرافقها وبإتمام بنائها انتقل إليها الشيخ مع تلامذته الذين ازداد عددهم فبلغ 140طالبا تتكفل الزاوية بمؤونتهم[6].

اختار شيخ الزاوية التعليم كوسيلة لمقاومة الاحتلال الفرنسي، فركّز جهوده عليه، وأنفق ماله فيه، وقصده أهل العلم من بقاع شتىّ. يروى أنّ بعض طلبته سألوه أن يظهر لهم كرامة كما اعتادوا سماع ذلك عن الأولياء، فقال: **كرامتي هي أن صار في كل بيت حفظة لكتاب الله، وأنّكم تسمعون كتاب الله يتلى من الهامل إلى بوسعادة، بعد أن كان لا أحد يقرأ حرفا إلاّ إذا سافر برسالته مسيرة يومين.**

إنّ القرآن الكريم هو مدار فلك التعليم في الزوايا عموما، ولا يوجد علم يدرّس فيها إلاّ وله ارتباط وثيق به، فهو المبدأ وهو الغاية.

---

[6]- العقبي (صلاح مؤيد)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002، ج02، ص381.

يقرأون قواعد اللغة العربية من نحو وصرف لفهم ما تيسّر من القرآن، ويقرأون الأدب والشعر العربي لمعرفة البيان والبلاغة في القرآن، ويقرأون الحديث النبوي الشريف لتفسير القرآن، ويقرأون المنطق والفلك لمعرفة أوقات الفرائض المأمور بها في القرآن الكريم، ويقرأون الحساب والرياضيات لأداء الزكاة المفروضة في القرآن، ولحساب المواريث والمناسخات07 الواجبة بأمر القرآن، ويقرأون علوم الطبيعة لحفظ نسل البشر وبقية المخلوقات إعمارا للأرض كما ورد في القرآن الكريم.

لذلك نجد تحفيظ القرآن الكريم في زاوية الهامل هو المادة الواجبة التي يقوم عليها التعليم ويقوم عليها وجود الزاوية، وبدونه لا تكون، فربما توقفت بعض الدروس والمواد لظروف أمنية أو سياسية أو اقتصادية ما، إلاّ تعليم القرآن فهو بحمد الله وفضله لم ينقطع أبدا.

ولهذا تكفّلت الزاوية بمعظم مستويات التعليم، بدأً بمحو الأميّة وصولا إلى مستوى التعليم العالي.

أ- <u>نظام طلبة العلم (السفارة):</u>

لطلبة الزاوية نظام داخليّ يحكمهم يُسمّى (السفارة). ويخضع الطلبة في هذا النظام إلى ترتيب يوجب عليهم التقيّد به والعمل بما فيه، لتحديد فئات الطلبة من الأعلى إلى الأدنى، وما يقتضيه ذلك من احترام وطاعة والتزام. ويترتّب طلبة القرآن الكريم حسب حفظهم؛ **فالأوائل المقدّمون** هم حفظة القرآن الكريم، وهؤلاء يعينون شيخهم في تعليم بقيّة الطلبة، بالتكتيب والتجويد والتصحيح. يليهم **المعيدون** وهم الذين لم يحفظوا القرآن بعد، وإنّما شقّوه، وهم بصدد إعادته. **ثمّ المبتدئون.** فإذا جلس الطلبة في حلقة الحزب الراتب، جلس الحفّاظ حول المعلّم، ثمّ المعيدون، ثمّ المبتدؤون. وكانت هذه الحلقة تعقد بعد صلاة الصبح ويتلون فيها حزبا، وبين العشاءين، يتلون ثلاثة أحزاب، وغيّر توقيت الأولى في الثورة إلى قبيل صلاة العصر، واستمرّ الحال إلى اليوم. وكان الطلبة يتقاسمون ليلة الجمعة أجزاء القرآن الكريم فيختموه ثلاث مرّات.

وأمّا **ترتيب طلبة العلم،** فيأتي في المصفّ الأوّل؛ **النظّارون** وهم الذين درسوا المتون بشروحها، وهم بمثابة الطلبة الجامعيّين، ينوبون عن الشيخ في حال الغياب،

وأحيانا بحضوره وفي مجلسه، ويعلّمون السبّاقين وغيرهم بتوجيه من شيخ الزاوية. ويسمّي البعض هذه الفئة الدوالين، جمع دوّال. وهو من ينوب عن الشيخ في الدالة، والدالة هي الحصّة التعليميّة.

و**السبّاقون** هم كطلبة التعليم الثانوي، وهؤلاء يرخّص لهم الشيخ في استعمال شروح المتون، وقد يأذن الشيخ للمتفوّقين منهم بتقرير الدرس للحجّارين.

ويليهم **الحجّارون**، وهم كتلاميذ التعليم المتوسّط، يؤذن لهم باستعمال المتن محلّ الدرس إن لم يكن محفوظا، والغالب على هؤلاء أن يكونوا من المبتدئين في قراءة الشروح، بعد أن حفظوا القرآن الكريم.

وأخيرا **المبتدئون**، وهم الذين شرعوا في تعلّم حروف الهجاء إلى منهم في طور حفظ القرآن الكريم، وهذه كمرحلة التعليم الابتدائي.

فإذا جلس هؤلاء في حلقة الدرس، جلس النظّارون حول الشيخ، ثمّ السبّاقون، ثمّ الحجّارون. هذا وقد يكون الواحد من الطلبة نظّارًا في علم، سبّاقًا في علم آخر، وحجّارًا في علم ثالث.

ب- <u>تعداد الطلبة:</u>

كان تعداد الطلبة المقيمين في الزاوية أول ما تأسست نحو مائة طالب، ثم ازداد إلى أن بلغ خمسمائة في نهاية القرن التاسع عشر، وتناقص بين الحربين العالميتين إلى نحو مائتين، وكذلك أثناء ثورة التحرير إلى أقل من ذلك بكثير، ثمّ ارتفع بعد الاستقلال إلى أن فاق (1500) خمسمائة وألف سنة 1975، ثم تضاءل بعد تطبيق النظام الاشتراكي حتى وصل إلى مائة طالب، وهو المعدّل الذي استمرّ عليه الحال إلى الآن.

فمتوسّط طلبة الزاوية منذ عهد تأسيسها كان كالآتي:

1848م /1863م = 080 – 200 طالب.

1863م /1927م = 200 – 450 طالب.

1927م /1945م = 300 – 600 طالب.

1945م /1955م = 200 – 350 طالب

1955م /1962م = 050 – 150 طالب.

1962م /1964م = 200 – 400 طالب.

1964م /1970م = 400 – 800 طالب.

1970م /1975م = 1100– 1500 طالب.

3– الدور الجهادي لزاوية الهامل:

لقد نهجت زاوية الهامل الرحمانية نهج الدعم غير المباشر للثورة متبعة في ذلك مسلك الشيخ المؤسس الذي عاصر الكثير من الثورات وظل محافظا على مؤسسته التي ربطت علاقات وطيدة مع قادة الثورات واحتضنت الكثير من أسرهم مثل الشيخ المقران وغيره واكتسبت ثقتهم وتقديرهم دون أن تشارك مباشرة معهم، وهذا المنهج يمكن إجماله فيما يلي:

- ✓ الدعاية للثورة التحريرية: استثمرت القيادة السياسية للثورة المكانة التي تتمتع بها الزوايا في قلوب الجزائريين فجعلت منها وسيلة للترويج للثورة، فكونت من أبناء الزاوية خلايا تنشر الوعي السياسي بين المواطنين، وكان من بين أعضائها من تولى مشيخة الزاوية لاحقا وقبض على البعض منهم وأودع البعض الأخر السجن والإقامة الجبرية[7].
- ✓ المشاركة المباشرة في العمل المسلح : وهو موقف تبناه بعض طلبة الزاوية من أبناء عائلة الشيخ المؤسس أي القاسميين ومن غيرها، وقد سقط بعضهم شهداء في ساحة المعركة.[8]

---

[7] من مقابلة مع شيخ الزاوية الحالي.

[8] عبد المنعم، **مرجع سابق**، ص251.

- ✓ إيواء أبناء المجاهدين وأسر الشهداء: ليس من المنطقة فحسب، بل من مناطق بعيدة ومنها منطقة القبائل.
- ✓ تكوين محاكم شرعية تابعة للقيادة العسكرية. مهمتها الفتوى وإصدار الأحكام في القضايا المتعلقة بالعمل المسلح.

ولقد مثل هذا الموقف بالنسبة للبعض قمة الذكاء [9]. إذ لا فائدة من الإعلان الرسمي عن الدعم للثورة لتتحول الزوايا إلى أكوام من التراب بعدما كانت "تمد الثورة بالمجاهدين والكتاب والقضاة ممن ساهموا في إرساء إدارة قوية كانت سندا للثورة في ترتيب امورها و تدوين تقاريرها ". بل لقد كان من قادة الثورة من تخرج من الزوايا متشبعا بالقيم الإسلامية والوطنية .[10]

وليس أدل على العلاقة الوثيقة بين الزاوية القاسمية والثورة، من القرار الذي اتخذته القيادة السياسية للولاية السادسة التاريخية، القاضي بإنشاء معهد إسلامي تابع لزاوية الهامل، برئاسة الحاج خليل القاسمي تكريما لها على الأعمال الجليلة التي قدمتها للثورة التحريرية. هذه العلاقة التي أشارت إليها التقارير الفرنسية التي ظلت تحذر من النشاط غير المفهوم الذي تقوم به المنظمات السرية (الزوايا) وبالضبط زاوية الهامل. وتحذر من التحركات المشبوهة التي يقوم بها بعض أبناء الزاوية أثناء تنقلاتهم، تحت غطاء النشاط الديني، وهي تحمل في داخلها مضمون العمل التعبوي السياسي.[11]

---

[9] سعد الله ، **مرجع سابق**،ج4،ص ص 160-161.

[10] أمثال عميروش والحواس و القايد زيان. انظر: وفاء بن علية، **زاوية الهامل و علاقتها بالمقاومة الشعبية والثورة الجزائرية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، المدرسة العليا للأساتذة ،قسم التاريخ، جامعة بوزريعة،2008-2009. ص 52.

[11] تقارير مكتب بوسعادة، من مخطوطات الزاوية، الملحق رقم(7).

–خاتمة:

إن الزوايا في الجزائر هي التي حفظت لهذه الأمة المسلمة قرآنها ولغتها ودينها وأخلاقها الإسلامية، إلى جانب ما قامت به من جهاد ودعت إليه وجندت له أتباعها، إذ ما من ثورة أو انتفاضة أو مقاومة أو جهاد إلا وهو مقرون باسم شيخ زاوية أو زوايا. ويشهد التاريخ النزيه أن شيوخ الزوايا وأبناءهم من تلاميذ ومريدين كانوا أسرع من غيرهم مبادرة لجهاد العدو الفرنسي.

–جمعت زاوية الهامل منذ نشوئها بين العمل والعلم، مما جعل الناس يزورونها سواءاً كانوا عامة أو خاصة على طول السنة.

–لم يقتصر دور الزاوية على الجانب الاجتماعي أو الثقافي بل تعدّاه إلى المقاومة المسلحة، ومباركة الثورات الشعبية بشكل غير مباشر.

–مثلت زاوية الهامل قاعدة خلفية لقادة الثورة التحريرية ومجاهديها، حيث شارك الكثير من أبنائها في الجهاد مباشرة وسقطوا شهداء في سبيل الحصول على الحرية[12].

[12]– درام (الشيخ)، النظم التعليمية في الزوايا –زاوية الهامل أنموذجا– مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سطيف02، الجزائر، 2012–2013، ص34.

–قائمة المصادر والمراجع:

[1]– ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج14.

[2]– سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ج1، ط01.

[3]– شهبي (عبد العزيز)، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2007.

4– العقبي (صلاح مؤيد)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002، ج02.

5– وفاء بن علية، **زاوية الهامل و علاقتها بالمقاومة الشعبية والثورة الجزائرية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، المدرسة العليا للأساتذة ،قسم التاريخ، جامعة بوزريعة، 2008–2009.

6– درام (الشيخ)، النظم التعليمية في الزوايا –زاوية الهامل أنموذجا– مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سطيف02، الجزائر، 2012–2013.

7– مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، تر: زكي إبراهيم، دار الشعب القاهرة، د ت، مج10.

8– تقارير مكتب بوسعادة، من مخطوطات الزاوية، الملحق رقم(7).

9–من مقابلة مع شيخ الزاوية الحالي.